

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٢٥

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

سأتناول اليوم أيضاً مزيداً من أحداث غزوة تبوك. منها واقعة شخص يدعى الجد بن قيس. وكان من المنافقين وثاني أكبر قادة المنافقين بعد عبد الله بن أبي. كان يشارك عبد الله بن أبي في مؤامرات مختلفة. ولم يكن مباحياً يوم صلح الحديبية. جاء النبي ﷺ وقدم عذراً لعدم الذهاب إلى الحرب، ولكن هذا العذر كان غريباً ومبتذلاً. فقد كُتب:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَاسِبَةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ رُؤَسَاءِ بَنِي سَلَمَةَ: "يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ (يعني الروم)؟". فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ تَأْذُنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَحْشَى أَنْ رَأَيْتِ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ. فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ هَذَا الْجَوَابَ السَّخِيفَ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَقَالَ: "قَدْ أَذْنُتُ لَكَ وَلَا دَاعِيَ لِتَذْهَبَ". (سيرة ابن هشام)

جاءه ابنه عبد الله بن الجد الذي كان من أصحاب بدر، ومخلصاً جداً، فقال لأبيه: لم ترد على رسول الله ﷺ مقالته؟ فوالله ما في بني سلمة أحد أكثر مالا منك، فلا تخرج ولا تحمل! (أي لا تؤمن لأي مجاهد ما يُركب عليه) فقال: يا بني، ما لي وللخروج في الريح والحر الشديد والعسرة إلى بني الأصفر، فوالله ما آمن خوفاً من بني الأصفر وأنا في منزلي، أفأذهب إليهم أغزوهم؟ (قال هذا لابنه) إني والله يا بني عالم بالدوائر، (كأنه كان يقول إن محاربة القوة العظمى روما ليس من الحكمة. عندما سمع ابنه المخلص كل هذا الكلام، غضب) فقال ابنه: لا والله ولكنه النفاق، (الذي بسببه لا تذهب للحرب) والله لينزلن على رسول الله ﷺ فيك قرآن يقرأ به، فرفع الأب نعله فضرب به وجه ولده، فانصرف ابنه ولم يكلمه. (سبل الهدى والرشاد)

ورد في رواية أنه في الجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتَدَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ (تاريخ الطبري) وقيل: يقال إنه تاب فيما بعد وأحسن التوبة، وتوفي في عهد عثمان رضي الله عنه (أسد الغابة). بعد ذلك لم يبق فيه هذا النفاق بل صار مسلماً حقيقياً.

كان المنافقون هناك يجتمعون في مكان ويتآمرون فيما يتعلق بهذه الحرب أيضاً. وقد ذكرتُ تفصيل ذلك من قبل، أي أنهم كانوا قد اتخذوا لأنفسهم مركزاً. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتدمير هذا المركز. وقد ورد في تفاصيله أن المنافقين واليهود في المدينة كانوا منشغلين بمؤامراتهم، أي نشر الشائعات الكاذبة لإضعاف عزيمة المسلمين ومحاولة منعهم من الذهاب إلى الحرب، مستخدمين حياً متنوعة. كان المؤمنون المخلصون ذوو الإيمان الراسخ على دراية بهذا الدور البغيض للمنافقين، بل كانوا يراقبونهم، وكانت تقارير عنهم تصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتجاوز عنهم بسبب رحمته وعطفه، إلا أنه عندما كانت تُحاك مؤامرة خطيرة ضد النظام، كان يُتخذ إجراء لإنهائها بحكمة بالغة ولكن بحزم أيضاً. وينبغي تذكر هذا المبدأ الأساسي أنه إذا كان هناك أمر ضد النظام، فإنه يُتعامل معه بحزم، ولا مجال للين هناك.

فبهذه المناسبة، تمت عملية مماثلة. ورد في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم علم بأن المنافقين يتجمعون في بيت سويلم اليهودي، الذي كان بالقرب من جاسوم. يُسمى أيضاً بئر جاسم، وهو بئر في المدينة. وكانوا يمنعون الناس من الذهاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. في الحقيقة، كانت كل المؤامرات والدعاية السلبية لمنع المسلمين من الذهاب إلى هذه الحرب تُحاك هناك. أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مع بعض الأفراد، وأمرهم بإشعال النار في بيت سويلم. (يعني اهدموه واحرقوه لأن البيوت كانت من الخشب والطين) ففعل طلحة رضي الله عنه ذلك، ففر جميع من كانوا هناك. وكان من بينهم ضحَّاك بن خليفة، الذي كان متواطئاً مع المنافقين. فصعد إلى سطح المنزل وقفز من الجهة الخلفية، مما أدى إلى كسر ساقه ومعصمه. رغم مؤامراتهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لعظم رحمته وعفوه، لم يأمر باعتقال أي منهم ولم يفرض عليهم عقوبة إضافية، إلا أنه قضى على هذا الوكر لمؤامراتهم، أي مقرهم الرئيس.

كان الجميع يستعدون للسفر إلى تبوك ولذلك كانوا يقدمون التضحيات المالية أيضاً لتغطية نفقات السفر. كان الصحابة الفقراء والمعوزون يأتون النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يساعدهم للتحضير. كما كان الصحابة الأثرياء يوفرون الدواب وغيرها للصحابة الذين لم تكن لديهم دابة، لأن هذا السفر لم يكن ممكناً من دونها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب معه من هو قوي ويستطيع تحمل مشقة السفر ولديه دابة وزاد السفر. وفي هذه المناسبة، جاء بعض الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، وطلبوا منه دواب، لأنهم كانوا بحاجة إليها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس عندي شيء أحملكم عليه». فعادوا وهم يبكون. وقد وصف الله تعالى هذه الحالة من إخلاصهم وعجزهم في القرآن الكريم بالآية التالية: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾. (التوبة: ٩٢) هذه

الآية من سورة التوبة. بسبب بكائهم الشديد نتيجة هذا الحرمان، ذكروا في كتب التاريخ والسيره باسم «البكَّاءون» أي الذين يبكون كثيراً.

اختلفت الروايات حول عددهم، ففي بعض الكتب ورد ١٨ اسماً تقريباً ولكن الاتفاق في الغالب على سبعة أسماء، وهم: سالم بن عُمير، عُلبه بن زيد، أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، عمرو بن حُمام، عبد الله بن مُعَقِّلِ المُرَبِّي، هَرَمِي بن عبد الله، وعرباض بن سارية رضي الله عنه.

في رواية، التقى يامين بن عُمير بن كعب النضري رضي الله عنه بأبي ليلى عبد الرحمن بن كعب رضي الله عنه وعبد الله بن مغفل رضي الله عنه وهما يبكيان في الطريق. فسألهما: لماذا تبكيان؟ فقالا: ذهبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعطينا دابة، ولكننا لم نجد عنده دابة، ولا نملك نحن ما يكفي لتأمين دابة حتى نذهب معكم إلى الجهاد. فأعطاهما يامين رضي الله عنه جملاً يحمل الماء، فوضعا عليه السرج، وكذلك أعطاهما بعض التمر كزاد للطريق، فانطلقا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد. هكذا تم تدبير أمرهما.

عندما علم العباس رضي الله عنه بذلك، هياً لصحابين آخرين زادا ودابتين، وقدم عثمان رضي الله عنه دواب وزاد طريق لثلاثة آخرين، فانطلق هؤلاء السبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم.

كذلك طلب أشخاص من قبيلة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أيضاً دواب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستة أشخاص، وأرسلوا أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ممثلاً عنهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم أيضاً: "مَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ".

وفي رواية البخاري: "قَالَ وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ وَلَا أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ" فعادوا وهم يبكون. ولكن بعد فترة وجيزة، اشترى النبي صلى الله عليه وسلم جملاً من سعد بن عبادة رضي الله عنه، وأرسل إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وقال: "خذها فهي لك واعطها أصحابك".

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه تفاصيل هذا الحدث بنفسه، فقد جاء في البخاري:

أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ". وَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِنَهَبٍ ٢ إِبِلٍ فَسَأَلَ عَنَّا فَقَالَ أَيْنَ النَّفَرُ الْأَشْعَرِيُّونَ فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ دَوْدٍ عُرِّ الدُّرَى ٣. فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا مَا صَنَعْنَا لَا يُبَارِكُ لَنَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَحْمِلَنَا فَحَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا أَفَنَسِيتَ قَالَ: "لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ. وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَحَلَلْتُهَا".

(البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين)

٢ النهب: الغنيمة

٣ عُرِّ الدُّرَى: صغيرة الأسنمة

أي صحيح أنني كنت قد حلفت ولكن تيسرت الأمور بعد ذلك بتدبير من الله تعالى، وإذا شككت في الموضوع وظهر بعد ذلك أمر أفضل مما سبق أراجع عن الحلف وأدفع كفارته.

وفي رواية أخرى: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ الْخُمْلَانَ هُمْ إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ وَهِيَ عَزْوَةٌ تَبُوكَ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ أَصْحَابِي أُرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ فَقَالَ " وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ ". وَوَأَفْقَتْهُ وَهُوَ غَضْبَانٌ وَلَا أَشْعُرُ وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً إِذْ سَمِعْتُ بِلَالًا يُنَادِي أَيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ فَأَجَبْتُهُ فَقَالَ أَحِبَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوكَ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: "حُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ لِسِتَّةِ أَبْعَرَةٍ ابْتَاعُهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ فَقُلْ إِنَّ اللَّهَ أَوْ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ ". فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِمْ بِهِنَّ فَقُلْتُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدْعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِي بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالََةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَطْنُوا أَيُّ حَدَّثْتَكُمْ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالُوا لِي وَاللَّهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدِّقٌ (علما أنه كان قد قال من قبل أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفض إعطاء المطايا، فقال مقولته السابقة، لأنه كان حذرا جدا. فقال لهم ذلك لئلا يظنوا أنني قلت من قبل من عندي وقد جئت بالجمال بعد قليل. والحق أنه إذا كان أحدكم موجودا هنالك فليشهد لي أن هذا ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردَّ به من قبل ثم توفرت الجمال).

على أية حال قالوا لي والله إنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدِّقٌ وَلَنْفَعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ. فَانْطَلَقَ أَبُو مُوسَى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ حَتَّى أَتَوْا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَعَهُ إِيَّاهُمْ ثُمَّ إِعْطَاءَهُمْ بَعْدَ فَحَدَّثُوهُمْ بِمِثْلِ مَا حَدَّثْتُهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى.

ما هو السبب وراء توضيح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحلفه وما أهميته؟ فقد قال سيدنا المصلح الموعود في تفسير ذلك: هنا ينشأ سؤال: إذا لم يكن لدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دواب، فلماذا أقسم قائلا: " وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ؟ ". يثبت من القرآن الكريم والأحاديث والتاريخ أنه لم يكن لديه مطايا فعلا. والقسم يعني أن يكون الشيء موجودا عند أحد ثم يرفض إعطائه. هل لأحد أن يحلف ويقول: والله لن أذهب إلى القمر، أو لن أذهب إلى الشمس؟ أو هل يحلف أحد ويقول: والله لن أبتلع فيلاً دفعة واحدة؟ فكذلك السؤال المطروح هنا هو: إذا لم يكن عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دواب، فلماذا أقسم؟ الجواب هو أن الناس غير المتحضرين وغير المتمدنين لا يصدقون كلام الآخرين ما لم يحلفوا. يأتينا أحيانا أشخاص ويقولون: أنجزوا لنا أمرا كذا وكذا، فنقول: لا يمكننا فعل ذلك. فيقولون: أنتم قادرون على ذلك، لكنكم تكذبون وتقولون إنكم لا تستطيعون. كذلك كان هؤلاء القوم غير متحضرين وغير متمدنين، وكانوا حديثي العهد بالإسلام، ولم يعرفوا إلى أي مدى التزام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصدق وبوقاره وعظمته وأخلاقه العالية. فعندما قال لهم: ليس عندي دواب، ظنوا أن الدواب موجودة ولكنه يرفض إعطائها، فأصروا قائلين: أنت ملك، كيف لا تكون عندك دواب؟ ومن

عادة العرب أنهم لا يصدّقون قولاً ولا يهدأ لهم بال حتى يُقسّم بشأنه، وهم بأنفسهم يخلّفون على أبسط الأمور قائلين: والله، بالله، ثم تالله. لذا كان الجواب الوحيد على إصرارهم على طلب الدواب هو أن يقسم النبي ﷺ. فلما زعموا أن كلامه عذر منحوت ليس إلا، لذا بحث ﷺ عن مخرج، فأقسم النبي ﷺ للتخلص من إصرارهم فانصرفوا. ولما توفرت الدواب، استدعاهم النبي ﷺ وأعطاهم إياها. إذن، كان الهدف من الحلف ألا يضيع وقته ﷺ. صحيح أنه ﷺ لم يقل لهم بلسانه ألا تضيعوا وقتي ولا تصروا على موقفكم ولكن هذا ما كان يهدف إليه. ثم أعطاهم المطايا لأن المناسبة كانت سانحة لكسب الحسنة فلم يُرد ﷺ أن يضيعها.

لقد تلوث من قبل الآية ٩٢ من سورة التوبة وهي: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ قد ذكر سيدنا المصلح الموعود ﷺ في تفسيرها أنها عامة بإطلاقها، لكن الأشخاص الذين أشير لهم فيها كانوا سبعة من المسلمين الفقراء، الذين كانوا متلهفين للخروج للجهاد لكنهم لم يكونوا يملكون ما يحققون به رغبتهم القلبية، فقد جاؤوا النبي ﷺ وطلبوا منه أن يدبر لهم الركوب، فقال ﷺ يؤسفني أني لا أقدر على ذلك فتألموا كثيراً، ففاضت عيونهم دمعاً، وعادوا. يقال إن سيدنا عثمان ؓ تبرع بثلاثة جمال ودبر المسلمون الآخرون أربعة، فقدم النبي ﷺ لكل واحد منهم بعيراً، فقد ذكر القرآن هذا الحدث لكي يقارن إخلاص أولئك الصحابة الفقراء مع أولئك الذين كانوا أغنياء ويملكون وسائل السفر ومع ذلك كانوا يقدمون أعدارا كاذبة. فمن ناحية كان هؤلاء الفقراء يتمتعون بالحماس والشوق والإيمان، وفي الطرف الآخر كان هناك أغنياء يسمون أنفسهم مسلمين لكن قلوبهم كانت مليئة بالنفاق. ويستشف من هذه الآية أيضاً أن الذين تخلّفوا وقعدوا في المدينة لم يكونوا كلهم منافقين، بل كان بعضهم لا يجدون الأمتعة لذا تخلّفوا كارهين، فكان منهم مسلمون مخلصون إلا أنهم لم يستطيعوا الخروج لعدم توفر الوسائل.

يقول سيدنا المصلح الموعود إن المسلمين كانوا يتسابقون في التضحيات بإخلاص وحماس إثر صدور الإعلان من رسول الله ﷺ أنه يسير إلى الشام، أما المسلمون الفقراء فمتى كانت عندهم وسائل الحرب؟ فلم يكونوا يملكون شيئاً، وكانت خزانة الحكومة أيضاً خالية، وإنما كان إخوتهم ميسورو الحال يمكن أن يساعدهم، فكان كل واحد يستبق التضحيات، فقد قدم سيدنا عثمان ؓ معظم أمواله للنبي ﷺ وكان ألف دينار من ذهب، أي خمسة وعشرين ألف روية (أي يوم ذكر ذلك حضرته أما اليوم فيقدر ثمنه بمئات الألوف). وكذلك تبرع الصحابة الآخرون بحسب سعتهم، فهاجروا للمسلمين الفقراء المراكب أو السيوف أو الحربات. فكان الصحابة متحمسين للتضحية لدرجة أن بعض اليمنيين الذين كانوا قد هاجروا إلى المدينة بعد الإسلام، وكانوا معدمين، جاء عدد منهم النبي ﷺ وقالوا، خذنا معك، ونحن لا نطلب منك سوى ما يوصلنا إلى هناك، فقد ورد ذكر هؤلاء في القرآن الكريم في الآية التي قرأناها سابقاً أي: ﴿وَلَا عَلَى

الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة: ٩٢) أي لا يجدون ما ينفقون لخدمة الإسلام.

كان أبو موسى رضي الله عنه زعيمهم فلما سُئِلَ ماذا طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم يومذاك، قال والله لم نطلب منه جمالا ولا أحصنة، وإنما قلنا إننا حفاة وليس في أقدامنا أحذية ولا نعال، ولا نستطيع أن نقطع هذه المسافة الطويلة مشاة حفاة، إذا توفرت لنا الأحذية فقط فسوف نلبسها ونلحق إخوتنا راكضين لنشترك في هذه المعركة. فهذا الحماس كان عندهم.

وعن استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عند خروجه إلى تبوك، نجد أقوالا متباينة، ففي رواية أنه أمر على المدينة سيدنا محمد بن مسلمة، ودُكرت أسماء سيدنا سبّاح بن عُرفطة وسيدنا علي وسيدنا عبد الله بن أم مكتوم أيضا، وتوفيقا بين هذه الأسماء والتأكد أنه هل فعلا يصح ذلك أم لا، يمكن أن نقول إن كل هؤلاء الأربعة استخلفهم النبي صلى الله عليه وسلم لكن مهامهم كانت مختلفة، فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، وكان سيدنا محمد بن مسلمة مسؤولا عن الشؤون العامة لأهل المدينة، وكان مهمة سيدنا عبد الله بن أم مكتوم إمامة الصلاة، أما سبّاح بن عُرفطة فكان قد استُخلف هو أولا ثم عُين مكانه سيدنا محمد بن مسلمة. فلما كان السفر طويلا لذا فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عليا رضي الله عنه أن يبقى في المدينة لعناية أهله وسد حاجاتهم، فأرجف به المنافقون الذين كان شغلهم الشاغل الطعن والانتقاد وقالوا: ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه. فلما سمع سيدنا علي هذه المطاعن أو إثر رؤيته المنافقين حوله في المدينة قلق وأخذ سلاحه وخرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف على بعد ثلاثة كيلومترات من المدينة فقال له صلى الله عليه وسلم: لقد تركتني في النساء والصبيان مع أنني قوي وقادر. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مواساةً له كلاما قد زاده عظمة كثيرا. فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا بَعْدِي". أي حين ذهب موسى عليه السلام إلى الطور خلفه هارون عليه السلام وكان نبيا، أما أنت فستخلفني ولن تكون نبيا.

وعن عدد المسلمين في معركة تبوك ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اتخذ كل وسيلة مادية للتجهز للخروج إلى المعركة توجه إلى الدعاء وظل يردد من بدء التجهيزات إلى السير إلى تبوك "اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض". فمن الغريب أن النبي صلى الله عليه وسلم تضرع إلى الله بهذا الدعاء في أول معركة خاضها أي بدر، ثم دعا بنفس الدعاء في المعركة الأخيرة في حياته صلى الله عليه وسلم، باختصار قد تجهز -رغم الحر الشديد والسفر الطويل ومشاكل عديدة أخرى ودعاية المنافقين- جيش كبير قوامه ثلاثون ألف نفر، وفيهم عشرة آلاف فارس، وكان أكبر جيش تجهز لغزوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وهناك اختلاف في عدد جند المسلمين، فقد ورد في رواية أنهم كانوا أربعين ألفا، وفي رواية أن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا منهم عشرة آلاف فارس، أو اثنا عشر ألف فارس عند البعض. ويتفق المؤرخون على أن عدد المسلمين كان ثلاثين ألف، وهم قد صححوا هذه

الرواية. فهو تقدير، لأنه في ذلك الزمن لم تكن هناك سجلات كما بدأ في الخلافة الراشدة نظام السجلات، لقد أمر رسول الله ﷺ الأنصار وكل فرع من قبائل العرب، أن تصنع لها لواء (وهو علم صغير) أو راية (وهي علم كبير)، وسلم ﷺ أكبر راية في غزوة تبوك لسيدنا أبي بكر ﷺ وأعطى كلا من سيدنا الزبير وسيدنا أسيد بن حضير وسيدنا أبا دُجانة أيضا راية وفي بعض الروايات أنه أعطى راية لسيدنا حُباب بن المُنذر أيضا.

كانت القوافل في تلك الأيام تخرج مع دليل خبير بالطرق. وورد أن النبي ﷺ اختار عند الخروج لغزوة تبوك عَلْقَمَةَ بِنَ الْفُغَوَاءِ الْحُزَاعِيَّ وأباه دليلين، وكان كلاهما خبيرا بمعالم الطرق ومسير القوم في الطريق الصحيح بأسرع وقت.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج في غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يجب الخروج يوم الخميس. وكالعادة أخذ القوم يحتشدون عند ثنية الوداع على مقربة من المدينة، وحين تمت التجهيزات سار النبي ﷺ إلى تبوك.

وَأَقْبَلَ رَأْسَ الْمَنَاظِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ بِجَنْدِهِ وَنَزَلَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوُدَاعِ بِجَدَاءِ جَبَلِ دُبَابٍ، وذلك كآخر حيلة ضد المسلمين متظاهرا بأنه سائر معهم إلى تبوك. ولكن ما إن أمر النبي ﷺ الجنود بالرحيل حتى رجع ابنُ أَبِي مع جنده إلى المدينة -ويقال أن جنده كان ذا عدد كبير- وقال يظن المسلمون أن قتال الروم لعبة! فتخلف هذا قائلا إن قتال أهل الروم ليس لعبة، فإنها دولة عظيمة وقتالهم مع جهد الحال والحر الشديد والسفر البعيد ليس بالرأي، ووالله لكأني أنظر إلى أصحاب محمد (ﷺ) غداً مقرنين في الجبال بأيدي الروم! ثم رجع ظنا منه أن المسلمين سيخافون ويخذلون النبي ﷺ. ولكنه (ابن سلول) رجع خائبا خاسرا كالمعتاد. وكان قد فعل هكذا في غزوة أحد أيضا، حيث خرج عندها مع جنود المسلمين، ولما كان في بعض الطريق رجع مع ثلاثة مئة من أصحابه، وذلك في وقت كان عدد جنود المسلمين ألفا، فنقص العدد إلى سبعة مئة. ولكن الجند السائر لتبوك فكان كثير العدد.

هذا، ونجد في هذه الغزوة قصة عبدٍ جاء ليشارك في هذه الغزوة دون إذن سيده، فلما علم النبي ﷺ ذلك نبّه العبد إلى خطئه. وورد في بيان ذلك أن النبي ﷺ لما كان في ثنية الوداع رأى عبداً لامرأةً متسلحا جاء دون إذنها، فقال له رسول الله ﷺ: "هل جئت بإذن سيدتك؟". قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: "ارجع إلى سيدتك، ولا تقتل معي، لأنك لو قُتلتَ في الحرب دخلتَ النار!".

أي أن من مقتضى الأمانة أن يستأذن العبد سيده. على كل حال، لا تزال هناك تفاصيل أخرى لهذه الغزوة وسوف أذكرها لاحقا إن شاء الله.

أما الآن فأود ذكر بعض من توفي من إخواننا، وسوف أصلي صلاة جنازتهم أيضا. وأولهم المرحوم غلام محي الدين سليمان، داعية الجماعة في إندونيسيا. توفي قبل أيام وهو في السابع والستين من عمره. إن الله

وإننا إليه راجعون. كان جده الحاجي داميني قد بايع على يد الداعية مولانا رحمت علي في عام ١٩٣٢. بعد إكمال تعليمه الابتدائي وفد المرحوم إلى ربوة لنيل مزيد من التعليم، والتحق بالجامعة الأحمدية في "الفصل الخاص"، ونال شهادة "الأجنب" في يوليو ١٩٨٥ ورجع إلى إندونيسيا، وذلك في عهد خلافة حضرة الخليفة الرابع رحمه الله. فعمل داعيةً في شتى مدن أندونيسيا مثل جاكرتا وغيرها، كما عمل كداعية مسؤول عن بعض المناطق هناك. وكان عضواً في اللجان المركزية بإندونيسيا. امتدت فترة خدمته للدين قرابة أربعين عاماً. خلف ابنين وبناتاً.

إن ابنه السيد مصلح الدين إحسان يعمل داعية للجماعة في إندونيسيا. كلُّ مَنْ كتب عن المرحوم من أقاربه ومعارفه أكد أنه كان إنساناً مخلصاً بسيط الطبع ومحباً جداً. ونذر حياته حقاً ودائماً لخدمة الجماعة ولخير الآخرين. كان التواضع والرفق والتمسك بالمبادئ أبرز خصاله. كل من لاقاه أعجب بإخلاصه وبساطة طبعه. أسدى خدمات قيمة جليلة في مجال التعليم والتربية. كان يهتم بحسن الأخلاق دوماً إلى جانب العلم، وكان حريصاً على إعداد الجيل الصاعد على أساس حسن السيرة والإيمان.

لقد عمل بقلبه وروحه في مجال الدعوة والتبليغ أيضاً، وبلغ الدعوة بإخلاص ووقار ومحبة دائماً. كان يحب الخلافة حبا عميقاً، وكان مثالا في الوفاء والولاء لها. كان متوكلاً على الله وقضى أيامه الأخيرة بمنتهى الصبر والثبات، ولم يتفوه بكلمة شكوى في مرضه أيضاً، وإنما عبر عن مشاعر شكره لله تعالى. غفر الله للمرحوم وتعمده برحمته.

والجنازة الثانية هي للمرحوم الدكتور محمد شفيق سيغل، الأمير الأسبق لجماعتنا في ملتان، ونائب وكيل للتصنيف بالتحريك الجديد بربوة، وقد توفي مؤخراً، إننا لله وإننا إليه راجعون. كان المرحوم منخرطاً في نظام الوصية، وترك وراءه ثلاثة أبناء.

دخلت الأحمدية أسرته بواسطة والده المرحوم ميان محمد عمر سيغل، الذي صدق الدعوة الأحمدية في عهد الخليفة الثاني رحمته. كان المرحوم شفيق سيغل حائزاً على الدكتوراه. وقف حياته في سبيل الله بعد نيل شهادة الثانوية، وقدم نفسه لحضرة المصلح الموعود في سبيل خدمة الدين. فقال له حضرته عليك إكمال دراستك. كانت الجماعة عندها تخطط لتأسيس خلية البحث لفضل عمر. كان المرحوم مولعاً بتعلم العلوم، فوفد إلى المملكة المتحدة ونال شهادة الدكتوراه في الكيمياء. وكان له شرف كونه تلميذاً لأستاذ حائز على جائزة نوبل. فلما رجع بعد نيل الدكتوراه لم تتمكن الجماعة من تأسيس خلية البحث هذه لكي يستعمله فيها حضرة المصلح الموعود، وكان المرحوم عاطلاً، فقال أبوه للجماعة طالما الجماعة ليست بحاجة إليه فلتأذن له بمساعدتي في عمالي وتجارتي. فساعد والدّه في أعماله، ومع ذلك حالفه التوفيق لإسداء خدماته للجماعة في مجالات شتى، فقد خدم بصفته أمير محافظة ملتان لحوالي خمسة عشر عاماً، كما عمل في "كتيبة الفرقان". وفي عهد الخليفة الرابع رحمه الله حصل نزاع شديد طويل بين أسرتين في كولكتا، وكان

أحد الفريقين من أقارب المرحوم، فشكّل الخليفة الرابع لجنة تحقيق وأرسله على رأسها هنالك، فتمكن من فك النزاع على أحسن وجه. وكان الخليفة الرابع رحمه الله قال له عند إرساله لهذه المهمة: إني موقن بأنك سوف تحكم بمنتهى الصدق والعدل دون الانحياز لأقاربك، وهذا ما حصل.

وفي عام ١٩٩١ ذهب بأمر من حضرة الخليفة الرابع إلى أوغندا لإنشاء مصنع زيت هناك، فأنشأه تحت إشرافه. كما وكّلت إليه مهمات أخرى في ثلاثة بلاد أفريقية وبلد أوروبي، فأنجزها على ما يرام.

كان يغلب عليه الشعورُ دائماً أنه واقف للحياة، حتى عندما كان يعمل في تجارته، إذ كانت له أيضاً معصرةُ زيوتٍ كبيرة في مُلتان لإنتاج الزيوت الصالحة للأكل. ومع ذلك كان الإحساس الدائم الذي يستولي عليه هو أنه واقفٌ حياة، فكان يُضحّي بانشغالاته التجارية من أجل أعمال الجماعة.

على أية حال، في عام ٢٠٠٣ كتب إليّ: أريد الآن أن أوقف ما تبقى من حياتي لخدمة الدين، فعينته في التحريك الجديد نائباً لوكيل التصنيف. كان مثقفاً، وكانت لغته الإنجليزية قوية كما كان حائزاً على علوم الدين، فأدّى عمله هذا بأحسن أداء.

ويقول ابنه السيد محمود سيغل: لقد وُفق لأن يعيش حياةً فعّالة هادفة مليئة بالعبادة. وكان من صفاته المميزة تلاوة القرآن الكريم والتدبُّر في معانيه. ومعظم الذين عبّروا عن حزنهم على وفاته قالوا إنه كان لطيفاً الطبع، مشفقاً، ومفعماً بروح الإخلاص. وكان محبباً للناس، وله أسلوبٌ جميل في التوجيه والتربية. ويقول: كان دائماً يوصينا بطاعة نظام الجماعة، ويقول: عبّروا عن آرائكم في المكان المناسب فقط، ولا تتحدثوا في كل مكان. وإذا رأيتم أمراً يحتاج إلى إصلاح، فلا تنظروا إلى الناس أو إلى المسؤولين، بل تذكّروا أنكم بايعتم الخليفة، فاحرصوا على الوفاء بعهدكم معه. نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه.

أما الذكرُ الثالث فهو عن السيدة بشرى برويز منهاس، زوجة السيد برويز منهاس من الولايات المتحدة الأمريكية، توفيت أيضاً في الأيام الماضية، إنا لله وإنا إليه راجعون. هي ابنة السيد شودري فضل أحمد المدير السابق لمزارع الجماعة في كريم نغر نصرت آباد. قبل زواجها أدّت خدمات في لجنة إماء الله بمدينة حيدر آباد في السند، ثم أقامت في روالبندي حيث واصلت الخدمة هناك أيضاً. كانت في حيدر آباد رئيسةً لجنة إماء الله. ذهبت إلى أمريكا مع زوجها، وتولّت في مجلسها المحلي هناك أيضاً وظيفة نائبة الرئيسة.

كانت مواظبةً على الصوم والصلاة وقيام الليل، ومتوكلةً على الله، وعاشقةً للخلافة، ومضيافةً، وكريمةً مع الخلق، ونافعة للناس، ورؤوفةً بالفقراء، وصالحة ومخلصة. كانت منتظمةً ومتفوقةً في أداء التبرعات. وكانت لها علاقة عميقة بالخلافة، كانت تراسلني بانتظام طلباً للدعاء. كانت المرحومة موصيةً، ولم يكن لها أولاد، لكنها كانت تعامل أبناء الآخرين بعطف كبير. نسأل الله تعالى أن يغفر لها ويرحمها.